ليس ضد الحداثة لكنه يريدها منسجمة مع الهوية والأصالة والتراث

مصطفى حيدر: خيالي التشكيلي أكبر من لمسات فرشاتي

يستضيف بوتيك لاريشكا، خلف مبنى بلدية بيروت، أعمال الرسام مصطفى حيدر ما بين ١٣ و١٥ كانون الأول الجاري، في معرض استعادي لمسيرة حيدر الفنية عبر خمسين عاما من التواصل مع الأكواريل والزيت والفحم ومزج العناصر التأليفية، في جهوده لتفسير إحساسه العميق بالوحشة والتفرد الذي يعانيه هذا الفنان الذي يعتبر نفسه «حاملاً صليبه التشكيلي ودائماً وحيداً في هذا العالم». معه هذا الحوار:

● الآن، وبعد مرور خمسين عاماً على احترافك الرسم، هل وصلت إلى ما تريد الوصول إليه؟

○ دائماً كان يواجهني هذا السؤال. وقد اكتشفت أنني، حتى الآن، لم أرسم العمل الفني الذي أريد. ثمة بركان تشكيلي ما زال يفور في داخلي. حتى آينشتاين بذاته يقول: «العلوم لا تمنحنا ما نريد إذا لم يكن عندنا خيال يستحق هذا العطاء». الخيال هو البداية والنهاية. وإذا عرفنا كيف نلتقط الخيال ونترجمه ونستوعبه نبدأ بإنماء المعرفة الإنسانية والفنية. لا، لم أصل إلى ما أريد، لأن خيالي التشكيلي ما زال أكبر بكثير من لمسات فرشاتي.

● أمضيت مرحلة طويلة من حياتك في الجنوب اللبناني بعيداً عن بعلبك. أليس لمسقط رأسك بعلبك تأثير في لوحاتك؟ وما الذي تنوي أن تقدمه لبعلبك بعد هذا الغياب الطويل؟

○ كانت البداية في بعلبك. هناك مسألتان: عظمة الفن المعماري والزخرفي في قلعة بعلبك، حيث أمضيت طفولتي أرسم هناك من جهة، وألوان سهل البقاع الجارحة والقاسية من جهة ثانية، ساهما في دخولي إلى عالم الرسم كي أعبّر عن دهشتي بهذا العالم المتناقض بجمالياته. وأنا أنوي أن أقدم لبعلبك أعمالي ضمن محترف دائم. طبعاً، لبعلبك فضل كبير على مسيرتي الفنية، وأنا لم ولن أنكر هذا الفضل الكبير. لكن للجنوب دوراً كبيراً جداً في مسيرتي مع الرسم، حيث هناك المدى برحابه الخضراء والملونة على امتداد فصول السنة، والهضاب والقرى الممتلئة بالحيوية والحياة، وبالعفوية والصدق مع الذات ومع الآخرين، وبالكرم والمودة والحب الكبير.

● تركز في لوحاتك على المشاهد التراثية للقرى الجنوبية. لماذا تتجنب تصوير المعالم الحديثة. هل عندك موقف ضد الحداثة؟

○ كنت وما أزال أغوص في عالم الثقافة والرسم لبلورة المعالم المميزة لشخصيتنا الحضارية. وأعتبر الريف اللبناني الحامل الدائم لهذه المعالم. وحتى المدينة الشرقية تستطيع ان تجد بقايا معالمها المنقرضة في الأرياف. طبعاً، الحياة تطور مستمر. وأنا لست ضد الحداثة. لكنني أريدها منسجمة مع الهوية والأصالة والتراث. لأن الهاجس عندي أن نترك بصمة في هذا العالم المتحول تمثل خصوصية شخصيتنا وهويتنا الثقافية والفنية.

● بماذا تنصح الرسامين الشبان الجدد بعد خبرتك الطويلة بعالم الرسم؟

○ أثناء دراستي الرسم في الأكاديمية اللبنانية كان زملائي هم: حسين ماضي، موسى طيبا وحسن جوني. وكنا نُعتبر من الرعيل الثاني في ريادة الفن التشكيلي اللبناني. كنا نرسم يوميا على امتداد تسع او عشر ساعات. من هنا، نصيحتي للرسامين الشبان الجدد ان لا يعتبروا شهادة الدراسة الفنية هي الهدف الأول، لأنه، بعد نيل تلك الشهادة تبدأ الرحلة باكتشاف الذات والشخصية الفنية المميزة. فالهدف المطلوب ليس الإتقان الاحترافي التقني للرسم، بل الوصول إلى الأسلوب المميز والفريد لكل رسام شاب، لأنه شرط الوصول إلى الإبداع.

● تبدو أعمالك تكملة للمسيرة التشكيلية التي بدأها الرواد: عمر الأنسي وقيصر الجميل ومصطفى فروخ... هل تأثرت بآخرين؟

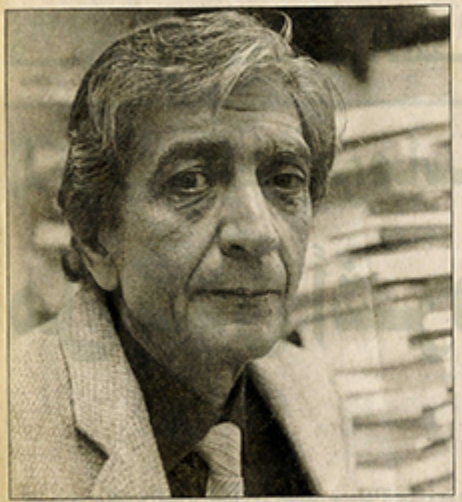

○ بعد الدراسة الفنية، كانت البراءة الحدسية تتحكم بفرشاتي التلوينية. أنا تتلمذت في الأكواريل على يد عمر الأنسي. الآن، وصلت إلى مرحلة الشفافية في الأكواريل. إنه أصعب أنواع الرسم. فهو عبارة عن ضربة ريشة واحدة لا تعود إلى الوراء ولا يمكن تكرارها او تصحيحها. وهذه الضربة ينبغي أن تكون مشبعة بالشفافية وبتدخل الثلاثي: العقل واليد والإحساس. فالألوان تبقى جافة كالنهر الجاف المتشققة ضفافه وقعره إذا لم يكن للحب وللولع وللإحساس قدرة المياه على إنعاش تلك الضفاف وذاك القعر. طبعاً، تأثرت بفنانين عالميين اشتغلوا على تفسير النور والإحساس به إبداعياً، أمثال رامبرانت وغويا وديلاكروا.

أجرى الحوار: صفوان حيدر